الباب الثانى

خطوات الزواج وبناء الأسرة

الفصل السادس: الاختيار فى الزواج والخطبة.

الفصل السابع: عقد الزواج والعرس.

الفصل الثامن: مسئوليات الحياة الأسرية.

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة الباب

يمر الزواج فى كل المجتمعات: مسلمة وغير مسلمة بأربع مراحل أو خطوات رئيسة هى: مرحلة اختيار الزوج أو الزوجة، ومرحلة الخطبة ومرحلة عقد الزواج ثم مرحلة العرس أو الزفاف. ولكن أهداف كل مرحلة ومضمونها وما يحدث فيها، يختلف من مجتمع إلى آخر وفق العادات والتقاليد والقيم، والمعتقدات السائدة فى كل منها عن الزواج والأسرة والأحوال الشخصية.

وبعد أن تنتقل الزوجة إلى بيت الزوجية، ويكتمل الزواج تبدأ المرحلة الأولى من دورة حياة الأسرة، ويتحمل الزوجان نشأة الأسرة، ويقومان معًا بمسئوليات الحياة الأسرية فى رعاية الحقوق الزوجية والأعمال المنزلية والقوامة والإنفاق على معيشة الأسرة.

ونتتبع فى هذا الباب خطوات الزواج، وبناء الأسرة، فنتناول فى الفصل السادس مرحلتى الاختيار والخطبة، وإجراءات البحث عن الزوج والزوجة، وقرارات الاختيار والخطبة. ونناقش فى الفصل السابع مرحلتى عقد الزواج والعرس، وقرارات الشباب فى الانتقال من عقد الزواج إلى العرس وبناء الأسرة. أما فى الفصل الثامن فنعرض فيه المسئوليات الزوجية فى المرحلة الأولى من دورة حياة الأسرة، والأسس النفسية التى يقوم عليها توزيع المسئوليات بما يحقق المساواة بين الزوجين فى الحقوق، وتكاملهما فى الواجبات.

الفصل السادس

الاختيار فى الزواج والخطبة

١- الاختيار فى الزواج

المرحلة الأولى فى الزواج هى: التفكير فيه، واختيار الزوج أو الزوجة Mate selection. فكل شاب يختار بإرادته الحرة، مَنْ يريدها زوجة له، وتقبل كل فتاة بإرادتها الحرة مَنْ تريده زوجًا لها. ولا يصح الزواج فى الإسلام إلا بالرضا والقبول بين الذكر والأنثى. وقد جرت العادة على أن يختار الشاب الفتاة التى تناسبه، ويتقدم لخطبتها بكامل وعيه وإرادته، وتختار الفتاة الشاب الذى يناسبها وتوافق عليه، وهى بكامل وعيها وإرادتها، فلا إكراه فى الزواج، ولا إجبار فيه. فقد قال ﷺ: «**زواج الفتاة بإرادتها، وليس بإرادة ولى أمرها**». ورد ﷺ زواج ثيب وبكر زوجهما أبوهما وهما كارهان (من حديث رواه الدار قطنى). وقال ﷺ: «**الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن فى نفسها وإذنها فى صمتها**» (رواه مسلم) أى أن المرأة الثيب (المطلقة والأرملة) تزوج نفسها، أما المرأة البكر (التى لم تتزوج من قبل) فلا تتزوج إلا بإذنها وموافقة ولى أمرها.

الاختيار الحر:

اختيار الزوج أو الزوجة فى الإسلام اختيار حر Free- choice mate Selection وهو أسلوب سائد فى عدد قليل من المجتمعات الحديثة. فمن دراسة على ٤٠ مجتمعًا، وجد أن الاختيار الحر فى ٣ مجتمعات

فقط، والاختيار بموافقة الوالدين فى ٧ مجتمعات، والزواج المرتب مع شيء من الحرية فى الاختيار فى ١٣ مجتمعًا، والزواج المرتب من دون اختيار فى ١٧ مجتمعًا (Ingoldsly, 1995).

وحرية اختيار الزوج أو الزوجة فى الإسلام تختلف عن حرية اختيار الزوج أو الزوجة فى الثقافة الغربية من ناحيتين نلخصهما فى الآتى:

أ- حرية الاختيار فى الإسلام مرتبطة بموافقة الأهل، لا سيما أهل الفتاة. فالفتى يختار مَنْ يُريدها زوجة له بإرادته الحرة، ثم موافقة أهله عليها، والفتاة توافق على الفتى الذى تريده بإرادتها الحرة، ثم موافقة أهلها عليه. أما فى الثقافة الغربية فيختار الفتى أو الفتاة بإرادته الحرة ومن دون تدخل الأهل، لأنهما -أى الفتى والفتاة- ينشآن على الاستقلالية والفردية، ولا شأن لأهلهما فى زواجهما. وهذه الحرية لا تناسب المسلمين الذين يُنشئون أبناءهم على حب الوالدين واحترامهما، وعلى أن زواج الأبناء مسألة تخص الآباء والأبناء معًا وليس الأبناء فقط.

ب- يقوم اختيار الزوج أو الزوجة عند المسلمين على أساس الرضا المتبادل بين الفتى والفتاة. أما فى الثقافة الغربية فيقوم اختيار الزوج أو الزوجة على الحب المتبادل بين الفتى والفتاة قبل الخطبة، فلا يخطب الفتى الفتاة إلا إذا عايشها عن قرب وأحبها وأحبته. وقد يكون عاشرها معاشرة الأزواج قبل أن يخطبها، لأن الاختلاط مباح فى هذه المجتمعات، والعشق بين الفتيان والفتيات Boy or girl friend شائع، وممارسة الجنس من دون زواج ليست محرمة، إلا إذا كانت اغتصابًا. أما

فى المجتمعات الإسلامية فلا يُسمح بتبادل الحب بين الفتى والفتاة قبل الخطبة، لحكمة يعلمها الله، ولمشكلات اجتماعية ونفسية وصحية كثيرة(١).

أهداف عملية الاختيار فى الزواج:

تهدف عملية الاختيار إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أ- التفكير فى الزواج وإنضاج الفكرة، ودراستها من جميع النواحى.

ب- التحقق من توافر الاستعداد للزواج، والقدرة على إنشاء الأسرة عند الراغب فى الزواج.

جـ- البحث عن الفتى أو الفتاة المراد الارتباط بها أو به.

د- موافقة الأهل على الفتى أو الفتاة، لا سيما موافقة أهل الفتاة على الفتى.

هـ- اتخاذ قرار الاختيار.

و- التقدم للخطبة.

التفكير فى الزواج:

يبدأ الفتى أو الفتاة التفكير فى الزواج بعد البلوغ والنضج الجنسى والجسمى، وتنضج الفكرة عندهما فى سن من ١٨-٢٠ سنة تقريبًا وتظهر الرغبة فى الزواج ثم تتحول إلى عزيمة وإرادة بعد أن يستكمل كل منهما الدراسة، ويحصل على العمل الذى يعول به نفسه وأسرته، لا سيما الفتى الذى تقع عليه مسئولية الإنفاق على الأسرة.

وتحدد بعض المجتمعات سن الزواج بالنسبة للفتاة بحوالى ١٥ أو ١٦ سنة، وللفتى بحوالى ١٧ أو ١٨ سنة. ومع هذا قد يفكر الفتى أو الفتاة فى الزواج واختيار الزوج أو الزوجة، والتقدم للخطبة قبل هذا السن، ولكن لا يعقد العقد ولا يتم الزواج قبل سن ١٥ للفتاة وسن ١٧ للفتى. فقد نص قانون الأحوال الشخصية فى الكويت على «يمنع توثيق عقد الزواج أو المصادقة عليه، ما لم تتم الفتاة الخامسة عشرة، ويتم الفتى السابعة عشرة من العمر وقت التوثيق» (المادة ٢٦ ص١١).

ومن دراسة على ٢٥٠ طالبة جامعية فى الكويت اتفقت ٩٥٪ منهن على أن السن المناسب للتفكير فى الزواج عند الفتاة غير المتعلمة هو من ١٥-١٨ سنة، والفتاة المتعلمة من ١٨-٢٠ سنة، والفتاة الجامعية من ٢٠-٢٢ سنة. وأما السن المناسب للفتى غير المتعلم فهو من ١٨-٢٠ سنة، والفتى المتعلم من ٢٠-٢٢ سنة، والفتى الجامعى من ٢٢-٢٥ سنة. كما اتفقت ٨٧٪ من الطالبات على أن زواج الفتاة أو الفتى فى سن أقل من ٢٠ سنة فهو زواج مبكر، وزواجهما بعد سن ٣٠ فهو زواج متأخر. وأشارت ٦٨٪ من الطالبات إلى أن الفتاة التى لا تتزوج حتى سن ٣٥ تكون قد تأخرت فى الزواج.

وفى دراسة ثانية على سن الزواج فى جمهورية مصر العربية تبين أن السن المناسب للزواج يتراوح بين ٢٣-٢٨ سنة للبنات، و٢٥-٣٤ سنة للأولاد فى المدينة، وبين ١٨-٢٢ سنة للبنات و٢٠-٢٤ سنة للأولاد فى الريف.

وفى دراسة ثالثة فى انجلترا تبين أن متوسط سن الزواج ٢٤سنة للبنات و٢٦ سنة للأولاد (Ingoldsly, 1995).

ونخلص من هذه الدراسات إلى السن المناسب للتفكير الجدى فى الزواج هو فترة العشرينات من العمر، أى فى العقد الثالث من ٢٠-٣٠ سنة، ومَنْ يتزوج قبل هذا السن فقد بكَّر فى الزواج، ومَنْ يتزوج بعده فقد تأخر، وعليه أن يسرع فى التفكير فيه، ولا يتردد فى اتخاذ القرار، لأن العمر يمضى والتأخير ليس فى مصلحته، لا سيما الفتاة التى تقل فرص الزواج أمامها فى الثلاثينات والأربعينات من العمر، وتتعرض لشقاء عدم الزواج وتعاسة العنوسة.

فقد أيدت بعض الدراسات أن الفتيات غير المتزوجات أكثر سعادة من الأولاد غير المتزوجين فى سن العشرينات من العمر، والأولاد غير المتزوجين أكثر سعادة من البنات غير المتزوجات فى سن الثلاثينات والأربعينات من العمر، وترجع تعاسة المرأة التى تأخر زواجها إلى تناقص فرص الزواج والإنجاب أمامها كلما تقدم بها السن من دون زواج، أما الرجل فلا يخشى عدم الزواج كلما تقدم به السن، لأنه يستطيع الزواج والإنجاب فى أى مرحلة من مراحل حياته (Freeman, 1978) وهذا يعنى أن مشكلة البنت التى يتأخر زواجها أكبر من مشكلة الولد الذى يتأخر زواجه، لاسيما فى المجتمعات الإسلامية، التى لا تسمح للفتاة ببناء أسرة لنفسها من دون زواج.

التأخر فى الزواج:

من الملاحظ أن التأخر فى الزواج أصبح سمة شائعة فى جميع المجتمعات الحديثة، فكثير من الشباب والفتيات يتأخرون فى الزواج هذه الأيام، لأسباب كثيرة منها الدراسة أو البطالة أو ارتفاع تكاليف الزواج، أو عدم الحصول على سكن.

وتشير الدراسات إلى أن متوسط سن الزواج زاد فى الربع الأخير من القرن العشرين من سنة إلى سنتين. ففى الولايات المتحدة كان متوسط سن الزواج حوالى ٢١ سنة للإناث و٢٣ سنة للذكور فى السبعينات، زاد إلى ٢٢ سنة للإناث و٢٥ سنة للذكور فى الثمانينات، وكان ٣٦٪ من النساء فى سن ٢٠-٢٤ غير متزوجات سنة ١٩٧٠، زاد إلى ٥٠٪ سنة ١٩٨٠ (Macklin, 1986).

ويسمى التأخر فى الزواج العزوبة أو العنوسة، ويطلق على الذكور والإناث لكن تُستخدم العنوسة مع النساء أكثر من الرجال، والعزوبة مع الرجال أكثر من النساء. قال ابن منظور فى لسان العرب العانس من الرجال والنساء هو الذى يبقى طويلاً بعد إدراك البلوغ ولا يتزوج، وأكثر ما يستعمل مع النساء فعنست المرأة تعنس وعنوساً، وجمعها «نسوة عنس» وعوانس، وعَنَّسها أهلها أى حبسوها عن الأزواج، حتى جاوزت سن الزواج، أما فى الرجال فيقال رجل عزب، للذى يبقى طويلاً بعد إدراك البلوغ ولا يتزوج.

ومشكلة العزوبة ليست كمشكلة العنوسة، لا سيما فى المجتمعات العربية والإسلامية، لأن فرص زواج الرجال العزاب كبيرة فى أى سن من سنوات أعمارهم، أما فرص زواج النساء العوانس فقليلة، لا سيما كلما تقدم بهن السن. وهذا ما يجعل المرأة العانس عرضه للقلق والاكتئاب والوحدة أكثر من الرجل العازب.

ويختلف الباحثون فى تحديد سن العزوبة عند الرجال، والعنوسة عند النساء، فالبعض يحددها بسن الخامسة والعشرين وما بعدها، وغيرهم

يحددونها بسن الثلاثين وما بعدها، وآخرون يحددونها بسن الخامسة والثلاثين وما بعدها (آتوب، ١٤١٥هـ).

ونحن نرى أن السن المناسب لزواج الشباب والفتيات من ٢٠-٣٠ سنة، ومن بلغ سن الثلاثين ولم يتزوج فقد تأخر فى الزواج، ومن بلغ سن ٣٥ ولم يتزوج فهو رجل أعزب، وهى إمرأة عانس.

وعزوبة الرجل بإرادته فى معظم الأحيان، لأنه يستطيع أن يتزوج فى أى وقت، وهو مخطئ فى حق نفسه خطأ كبيراً بتأخير زواجه من دون أسباب جوهرية، لأنه يحرمها من خير متاع الدنيا، وهى المرأة الصالحة، ولم يستفد من قول الرسول ﷺ: «**من كان موسراً لأن ينكح ولم ينكح فليس منا**» (رواه الطبرانى والبيهقى)، وقوله لعكاف بن وداعة الهلالى: «**ألك زوجة يا عكاف؟**» قال: لا. قال ﷺ: «**ولا جارية**» قال: ولا جارية. قال ﷺ: «**وأنت صحيح موسر؟**» قال: نعم والحمد لله. قال ﷺ: «**فأنت إذن من إخوان الشياطين. إما أن تكون من رهبان النصارى فأنت منهم، وإما أن تكون منا، فاصنع كما نصنع، وإن من سنتنا النكاح. شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم. ويحك يا عكاف.. تزوج**» (رواه أبو يعلى).

أما عنوسة المرأة فأسبابها كثيرة نلخصها فى الآتى:

١- انشغال الفتاة بالدراسة أو العمل، ورغباتها فى تحقيق ذاتها فى الدراسات العليا أو الترقى فى العمل، فلا تجعل الزواج فى أولوياتها لاسيما فى العشرينات من عمرها فتنتهى أجمل أيام عمرها، وهى لا تفكر فى الزواج.

٢- المبالغة فى شرط الكفاءة فى الزواج فتطلب الأسرة زوجاً لابنتها من أسرة فى مستواها الاجتماعى والاقتصادى، أو تغلو الفتاة فى شروط فتى أحلامها، التى لا تجدها إلا فى الخيال أو الأفلام والمسلسلات، ويضيع عمرها، وهى تبحث عن هذا الشاب ولا تجده.

٣- غلاء المهور، فقد يطلب الأهل مهراً كبيراً لابنتهم، يفوق قدرات مَنْ يتقدمون لها، ويطول انتظار الفتاة، ولا يتقدم لها أحد، حتى تكبر فى السن من دون زواج.

٤- انصراف الشباب عن الزواج، مما يقلل فرص الزواج أمام الفتيات، ويتأخر الكثيرات منهن فى الزواج ويُعَنسن.

٥- إقبال الشباب على الزواج من أجنبيات، وترك فتيات بلدتهم، إما بسبب غلاء المهور، الذى أصبح ظاهرة اجتماعية ممقوتة فى بعض المجتمعات العربية، أو بسبب المطالب الكثيرة من أهل الفتاة التى منها الحلى والهدايا والفرح فى فندق خمس نجوم، وفستان الفرح والفيلا والسيارة وغيرها.

٦- تردد بعض الفتيات فى الاختيار إما بسبب الخوف أو الصراع أو المعلومات الخاطئة عن الزواج، ثم تمر السنوات وهن غير قادرات على اتخاذ القرار حتى ينصرف الشباب عنهن، ويتأخرن فى الزواج.

٧- تحمل الأخت الكبيرة مسئولية رعاية إخوانها وأخواتها بعد وفاة أحد الوالدين أو مرضه، وانشغالها بالعمل من أجل الإنفاق على الأسرة، ورفضها الزواج حتى ينتهى إخوانها وأخواتها من التعليم،

أو يحصلون على العمل ويتزوجون، ثم تبدأ فى التفكير فى الزواج فى سن متأخرة، وقد تفرض عليها العنوسة من دون إرادتها.

نتائج دراسة عن العنوسة:

العنوسة خبرة مؤلمة، ولا توجد فتاة سعيدة بعدم زواجها، لاسيما فى المجتمعات الإسلامية التى فيها الزواج نصف الدين. لكن قد تتعرض بعض الفتيات لهذه الحالة بقضاء الله وقدره، وبارادتها فتشعر بالذنب والندم بعد فوات الآوان، أو لأسباب خارجة عن إرادتها فتصبر وتحتسب.

فمن دراسة حالة ٤٢ فتاة عانس فى سن من ٣٢–٤٥ سنة تبين الآتى:

(١٢) فتاة تقدم لهن خُطاب كثيرون ورفضنهم، وبعد أن تقدم بهن السن أدركن خطأهن فى رفض الخُطَّاب، بعد فوات الآوان، فقد ولى الشباب، ولم يتقدم لهن أحد.

(١١) فتاة تقدم لهن خُطاب كثيرون ورفضهم الأهل لعدم الكفاءة الاجتماعية. فقد كانوا من عائلات أقل من مستوى عائلة الفتاة من النواحى الاجتماعية والاقتصادية، وانتظرت الفتيات كثيراً ولم يأت من هو كفء لهن.

(٧) فتيات تقدم لهن خُطاب كثيرون، ولم تتم إجراءات الخطبة بسبب غلاء المهور وإصرار أهليهن على أن يكون مهر ابنتهم كبيراً، وسكنها فى فيلا حديثة من طابقين، وسيارة فخمة، وهدايا وذهب وفرح فى فندق خمس نجوم، وشهر عسل فى الخارج وغير ذلك من المطالب التعجيزية.

(٩) فتيات رفضن كل من تقدم لهن فى أثناء الدراسة الجامعية، وبعد الحصول على البكالوريوس أو الليسانس سافرن فى بعثات، وانشغلن بالأبحاث والماجستير والدكتوراه، حتى تقدمت بهن السن، وانصرف عنهن الخطاب المناسبون، وأصبح عليهن أن يقبلن الزواج من أرمل أو مطلق أو متزوج، ويرغب فى زوجة ثانية، أو ثالثة.

(٣) فتيات لم يتقدم لهن أحد لأسباب صحية، حتى تقدمت بهن السن.

ومن أقوال بعض الفتيات اللائى شملتهن الدراسة عن خطئهن فى الاختيار، وندمهن على فرص الزواج التى ضاعت منهن فى العشرينات من العمر الآتى:

- **سلوى ٣٥ سنة موظفة جامعية قالت**: تقدم لى شباب مناسبون جداً، لكنى كنت أحلم بالزواج من شاب غنى، عنده فيلا وسيارة فخمة، ووظيفة كبيرة، ورفضت كل الشباب لأنهم كانوا متوسطى الحال. وبعد أن تقدم بى السن أدركت أن المال والمظاهر لا تحقق السعادة الزوجية، وأحسد صديقاتى المتزوجات على ما هن فيه من سعادة مع الزوج والأبناء.

- **وضحة ٣٧ سنة ناظرة مدرسة قالت**: كنت أبحث عن شاب وسيم، وتشددت فى ذلك، ورفضت كل من تقدم لى، لأنه دون المستوى فى الجمال، ومرت السنوات، وأنا أرفض حتى أدركت أنى أبحث عن المظهر وليس الجوهر، لكن بعد فوات الأوان.

- **شهيرة (٣٩) سنة سكرتيرة تنفيذية قالت**: رفضت الزواج بالطريقة التقليدية، وبحثت عن شاب أحبه أولا قبل الخطوبة، وأحببت شاباً وعشت معه قصة حب سنة ونصف، وأحسست أنى عرفته جيداً، وفهمت شخصيته. لكنى كنت واهمة، بعد أن علمت أنه تزوج من أخرى، وكان يتسلى معى. فعانيت من صدمة نفسية استمرت معى سنوات، وفاتنى قطار الزواج.

- **نوال ٣٣ سنة طبيبة قالت**: انشغلت بدراسة الطب، وبعد أن تخرجت واستلمت عملى، قررت ألا أتزوج إلا من شاب أعرفه معرفة جيدة، يحبنى وأحبه، وارتبطت بشباب كثيرين ومرت السنوات، وبلغت الثالثة والثلاثين من دون زواج، وأدركت أنى أضيع عمرى، وندمت على رفضى الشباب، الذين تقدموا لخطبتى من أهلى، ولم يكن فيهم عيوب غير أنى لا أريد أن أتزوج بالطريقة التقليدية.

- **سوسن (٤٠) سنة موظفة قالت**: كنا أسرة من أربع بنات وولد واحد وكنت أكبر إخوتى ثم مات أبى ومرضت أمى، ووجدت نفسى مسئولة عن رعاية أمى وإخوتى الصغار فتركت الجامعة وحصلت على وظيفة بإحدى الوزارات، وانشغلت بالعمل وأسرتى، ولم أفكر فى الزواج، ورفضت كل من تقدم لخطبتى فى العشرينات من عمرى، لأن مسئولياتى كبيرة، لا تسمح لى بالزواج. وبعد أن انتهى إخوتى من دراساتهم الجامعية، تزوجوا وأنجبوا الأطفال والحمد لله. أما أنا فقد تقدم بى السن، وأصبحت فرص الزواج أمامى قليلة فى سن الأربعين.

ونخلص من هذه الدراسة إلى أن تأخير سن الزواج ودخول العزوبة أو العنوسة قد يكون بإرادة الرجل والمرأة، أو يكون من دون إرادة منهما.

فقد يصبح الرجل عازبًا والمرأة عانسًا لظروف خارجة عن إرادتها، لكن كثيرًا من الحالات التى درسناها تأخرت فى الزواج، ودخلت فى العنوسة، لأسباب ترجع إلى أخطائها فى التفكير، أو تفكيرها اللاعقلانى فى اختيار الزوج، أو أخطاء أهلها فى التفكير، أو تفكيرهم اللاعقلانى فى زواج بناتهم، وتدخلهم فى عملية الاختيار وانفرادهم بقرار الاختيار. وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**ثلاث لا يؤخرن: الصلاة إذا حضرت، والدَّيْن إذا حل، والأيم إذا حضر كفؤها**» وكذلك البكر إذا جاء عَدْلها أى الرجل المناسب لها.

تحليل عملية الاختيار فى الزواج:

تتكون عملية الاختيارمن ثلاث عمليات فرعية هى: التفكير فى الزواج، والبحث عن الفتى أو الفتاة المناسبة، ثم اتخاذ قرار التقدم إلى خطبة الفتاة أو قرار قبول الخطبة.

ويتكون كل من قرارى التفكير فى الزواج واختيار من يتقدم لخطبتها (بالنسبة للفتى)، أو قبول مَنْ تقدم لخطبتها (بالنسبة للفتاة) من أربع جوانب لا يمكن الفصل بينها، لأنها جوانب متداخلة ومتفاعلة فيما بينهما، وتحدث فى داخل الإنسان ولا نلمسها مباشرة ولكن نستدل عليها مما يخبر به هو، وما يظهر فى سلوكه وتعبيراته وكلامه ومشاعره. وسوف نحاول تحديد جوانب قرارات الاختيار، لنعرف كيف يتخذ الشباب قراراتهم فى اختيار الزوج والزوجة. ونلخص هذه الجوانب فى الآتى:

أ- **الجانب المعرفى**: وهوالجانب العقلى الذى يضم الأفكار عن الزواج وأهميته، وأسباب الإقدام عليه الآن، ومواصفات الزوجة الصالحة،

(أوالزوج الصالح) التى يريدها ومواصفات الفتاة (أو الشاب) التى يريد أن يتقدم إليها، وما فيها من مزايا وعيوب وإمكانية الموافقة أو الرفض، والأسباب الداعية إلى الموافقة أو عدم الموافقة، وغير ذلك من المعلومات التى يحصل عليها الشاب (أو الفتاة) بخبراته وإدراكه لظروفه، وسؤاله لأهله وأصدقائه وغيرهم ممن لهم علاقة بالفتاة أو سؤال الفتاة لأهلها وغيرهم ممن لهم علاقة بالشاب الذى تقدم إلى خطبتها.

ومن هنا يأتى تأثير الأهل والأصدقاء والزملاء فى التفكير فى الزواج وفى اختيار الزوج أو الزوجة، فهم قد يعطون الفتى أو الفتاة معلومات دقيقة أو خاطئة، وقد يقدمون له النصيحة الجيدة أو غير الجيدة.

ب- الجانب الوجدانى: وهو جانب الميل أو الرغبة، ويضم المشاعر الإيجابية (الإعجاب والرضا والحب) أو المشاعر السلبية (النفور وعدم الارتياح والكراهية) التى تتعلق بموضوع الزواج، أو بمن نريد الارتباط به/ بها، وهى مشاعر تتكون مما يعرفه الفتى أو الفتاة عن الآخر أو يراه فيه من خصائص تجذبه إليه أو تبعده عنه.

جـ- الجانب النزوعى: وهو الجانب السلوكى أو النفس – حركى الذى يظهر فى تصرفات الفتى فى التقدم للخطبة أو الإحجام عنها أو تصرفات الفتاه فى القبول أو الرفض لمن تقدم إلى خطبتها. ويضم هذا الجانب الكلام والحركات والتعبيرات وردود الأفعال فى مواقف عملية الاختيار، وهى سلوكيات قد تكون مهذبة أو غير مهذبة، مقبولة أو غير مقبولة، وفق العادات والتقاليد والقيم السائدة فى المجتمع.

د- الجانب القيمى: و هو جانب الأخلاق والدين والضمير الذى يوجه الجوانب الثلاثة السابقة، ويؤثر على التفاعل بينها، وعلى الدوافع والانفعالات والعواطف، وعلى ردود الأفعال فى القبول أو الرفض.

تفسير عملية الاختيار:

فعندما يدرك الشاب أنه فى سن الزواج، ويتحقق من مناسبة ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والصحية لتحمل مسئولية بناء الأسرة، يفكر فى الزواج (جانب معرفى) ويتوق إليه (جانب وجدانى)، ويبحث عن الفتاة المناسبة بنفسه أو بمساعدة أهله أو أصدقائه أو جيرانه (جانب نزوعى).

وعندما يجد الفتاه المناسبة من حيث السن والتعليم والأهل (جانب معرفى)، يميل إليها ويرغب فيها (جانب وجدانى) ثم يختارها، ويقرر التقدم لخطبتها (جانب نزوعى). ويحكمه فى التفكير بالزواج، واتخاذ قرار الاختيار، أخلاقه وضميره ومستوى إيمانه (الجانب القيمى). فإذا كان قوى الإيمان، وضميره حى، وأخلاقه حسنة، فسوف يكون جادا فى تفكيره، وصادقًا فى نيته فى البحث عن عروس، وأمينا فى بحثه، فلا يتجسس ولا يكشف الأسرار. سواء قرر التقدم للفتاة أو انصرف عنها، كما أنه لا يفكر فى خطبة فتاة مخطوبة أو غير كتابية، ولا يفكر فى الغش والخداع، وتقديم معلومات غير حقيقية عن نفسه، لأن الرسول ﷺ قال: «**من غشنا فليس منا**».

والفتاه أيضًا التى تجد نفسها فى سن الزواج، وظروفها الاجتماعية والصحية والاقتصادية تسمح لها بالزواج، تفكر فيه (جانب معرفى) وتتوق إليه (جانب وجدانى)، ثم تَحدَّث نفسها بالزواج، وقد تحدث

أهلها أو صديقاتها حديثا مباشرا أو غير مباشر عن رغبتها فى الزواج (جانب نزوعى).

فإذا تقدم إلى خطبتها أحد الشباب، وعرفت عمره وظروفه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية (جانب معرفى) وقبلت ظروفه وأعجبها شكله وهندامه، رغبت فيه ورضيت به (جانب وجدانى) ثم قررت الموافقة على أن يخطبها بالتصريح أو التلميح (جانب نزوعى).

ويحكم الفتاة فى التفكير فى الزواج واتخاذ قرار الاختيار أخلاقها وضميرها ومستوى إيمانها (الجانب القيمى)، فإذا كانت قوية الإيمان وضميرها حى، وأخلاقها حسنة، فسوف تكون جادة فى تفكيرها، وصادقة فى نيتها فى قبول العريس، وأمينة معه، فلا تتجسس، ولا تكشف عيوبه، سواء وافقت عليه أو لم توافق، ولا تفشى أسراره، ولا تفكر فى غشه وخداعه، لأن المسلمة لا تكذب ولا تغش ولا تغتاب.

والتأثير متبادل بين التفكير فى الزواج والرغبة فيه من ناحية، والبحث عن الزوج أو الزوجة، من ناحية أخرى، فهما عمليتان متداخلتان قد تسبق إحداهما الأخرى، فقد يفكر الشاب فى الزواج ، ثم تنشأ الرغبة فيه، وقد يرغب فى الزواج ثم يفكر فيه، وقد يجمع المعلومات عن الفتاة ويفكر فيها، ثم يرغب فى الزواج منها، وقد يشاهدها، وينظر إليها، ويعجب بها، ثم يجمع المعلومات عنها وعن أسرتها، ويفكر فى التقدم إلى خطبتها، ولا شىء فى ذلك ولا خطأ فيه.

ويحدث الأمر نفسه عند الفتاة، فقد تفكر فى الزواج، ثم تنشأ الرغبة فيه، وقد ترغب فى الزواج، ثم تفكر فيه، وقد تسمع عن الشاب، وتعرف خصائصه، ثم ترغب فيه، وقد تشاهده وتنظر إليه،

وتعجب به، ثم تفكر فى الزواج منه، أو تتمنى الزواج منه، ولا شيء فى ذلك، ولا خطأ فيه.

ويؤثر الجانب القيمى عند الشاب (أو الفتاة) على طريقته فى التفكير والإعجاب والتعبير، حيث يفكر كل إنسان فى الزواج، ويتخذ قراره بالاختيار، وفق ما يؤمن به من عادات وقيم ومعتقدات وأخلاق، فإذا كان الشاب (أو الفتاة) مسلما متمسكًا بدينه وقيمه الإسلامية، فسوف يكون تفكيره، واتخاذ قراره وفق ما يريده الإسلام، فيأت البيوت من أبوابها، ولا يواعد الفتاة سرًا، أما إذا كان ضعيف الإيمان، ومنفلتًا من الدين وقيمه، فسوف يفكر ويتخذ قراره، ويعبر عنه تعبيراً مختلفًا عما هو مألوف أو مقبول فى المجتمعات الإسلامية، لأنه لا يعبأ بالقيم الإسلامية فى مثل هذه المواقف، بل قد يعدها قيمًا وأخلاقًا متخلفة، لا تناسب عصره، ويبحث عن المواعيد الغرامية والحب قبل الزواج.

اتخاذ قرار الاختيار:

يتضح من تحليل عملية الاختيار أن الشاب (أو الفتاة) يتخذ قرار اختيار الزوجة (أو الزوج) بعقله ووجدانه، فالعقل يبحث فى الخصائص والظروف ويحللها ويقومها، ويفكر فيها، وفق مبادئ المنطق والواقع والأخلاق، أما الوجدان فينفعل بهذه الخصائص، ويميل ويرغب ويعجب، ومن التفاعل بين العقل والميل تنشأ الإرادة فى اتخاذ قرار اختيار الفتاة التى يتقدم إلى خطبتها، أو قرار قبول الفتى الذى تقدم إلى خطبتها.

وتتطلب الإرادة القوية فى اتخاذ القرار اتفاق العقل والميل، لأن اتفاقهما يعنى الانسجام بين الجوانب: المعرفية والوجدانية والقيمية، التى يعبر عنها بالنزوع إلى أفعال وتصرفات، تشير إلى حال الارتياح فى اتخاذ القرار. فإذا عقل الشاب (أو الفتاة) الخصائص والمعلومات ووجدها مناسبة للزوجة (أو الزوج) التى يريدها، أعجب بها، وقرر اختيارها عن قناعة، فتنشأ الإرادة القوية فى تنفيذ القرار، بخطبة الفتاة أو قبول الفتى الذى تقدم لخطبتها.

أما إذا عقل الشاب الخصائص والمعلومات والظروف، ووجدها غير مناسبة نفر منها، وقرر تركها عن قناعة، فتنشأ إرادة البحث عن غيرها. وكذا إذا عقلت الفتاة الخصائص والمعلومات، عمن تقدم لخطبتها ووجدتها غير مناسبة لها، نفرت منه، وقررت عدم الموافقة عليه بإرادة قوية.

لكن قد يختلف العقل مع الميل، ويحدث عدم الانسجام بين الجوانب المعرفية والوجدانية والقيمية فى عملية الاختيار، فيعقل الشاب (أو الفتاة) الخصائص والمعلومات، ويجدها جيدة ومناسبة، ومع هذا لا يعجب بالفتاة، ويتردد فى خطبتها، ويظل فى صراع نفسى بين الإقدام والإحجام، حتى يحل هذا الصراع إما بتغليب العقل على الميل، ويقدم على خطبتها، لعله يعجب بها بعد ذلك، أو بتغليب الميل على العقل فيتركها، لعله يجد مَنْ هى أفضل منها، ويرغب فيها.

وقد يحدث العكس عندما لا يجد الشاب (أو الفتاة) الخصائص التى يريدها، أو يجد عيوبًا تجعله يدرك أن الفتاة غير مناسبة له من

الناحية العقلية والمنطقية، ومع ذلك يشعر بالميل والإعجاب بها، فيحدث عدم الانسجام بين جوانبه: المعرفية والوجدانية والقيمية، ويقع فى صراع إقدام – إحجام أيضًا. فالعقل يدفعه إلى الإحجام، والميل يدفعه إلى الإقدام، ويكون فى حيرة من أمره. وقد يحل هذا الصراع بتغليب الميل على العقل فيقدم على الخطبة مع خوفه من الفشل فى الزواج ، ويظل فى توتر وقلق، لعدم قناعته بالخطبة من الناحية العقلية، وقد يُغلب العقل على الميل فيحجم مع شعوره بالإحباط.

الأسس النفسية لاتخاذ القرار:

قرار الاختيار فى الزواج من أهم القرارات التى يتخذها الإنسان فى حياته والتى يترتب عليها سعادته أو شقاؤه، وعليه أن يتخذه وهو بكامل عقله ووجدانه، فيتحرى الدقة فى المعلومات التى يحصل عليها، والمصادر التى يعتمد عليها، ويستوثق من مشاعره وعواطفه، ويستشير والديه وأهل الخبرة والصلاح فى قراره، ويسترشد برأى المتخصصين المتمرسين بأمور الأسرة والزواج، ويخلد إلى نفسه، ويُحكِّم عقله، ويُقْدِم على ما ينشرح صدره له بعد أن يستخير الله سبحانه وتعالى.

ومع إيماننا أن الزواج «قسمة ونصيب»، ولن نتزوج إلا ما كتبه الله لنا من النساء أو الرجال، فإننا نؤمن أيضًا أن اختيار الزوج أو الزوجة عملية إرادية، تحكمها قواعد ومبادئ، وتقوم على أسس نفسية، يجب الأخذ بها، حتى يكون القرار صائبًا بإذن الله. من أهم هذه المبادئ الآتى:

١- جمع المعلومات عن الشاب (أو الفتاة) وظروفه الأسرية والثقافية والاقتصادية وطريقته فى التعامل مع الناس، لاسيما الأهل والوالدين، والتزامه بالدين والأخلاق، وقدرته على تحمل المسئولية، وضبط النفس. ويهمنا فى هذه الناحية السؤال عن الآتى:

أ- الدين والأخلاق.

ب- العلاقة بالأهل لا سيما الوالدين.

جـ- العلاقة بالأصدقاء والجيران والناس.

د- الالتزام بالواجبات نحو النفس والأهل والناس.

هـ- الانضباط فى العمل أو الدراسة والمواعيد (يحافظ على المواعيد)

و- الإحساس بالمسئولية والرضا والتفاؤل (يتحمل مسئولية أفعاله).

ز- القدرة على ضبط النفس لاسيما عند الغضب (يملك نفسه عند الغضب).

ح- الالتزام بالعادات الحسنة والابتعاد عن العادات السيئة.

ط- نوعية الأصدقاء المقربين وأخلاقهم (يصاحب الصالحين).

٢- جمع المعلومات عن السن والعمل والدخل والمؤهلات الدراسية. ويهمنا فى هذه الناحية التحقق من الآتى:

أ- التقارب فى السن فلا تكون الفتاة أكبر من الشاب، ويكون الشاب فى سن الفتاة أو أكبر منها بقليل، لكى يكونا من جيل واحد، ويقتربا فى الأفكار والميول والتوجهات والاهتمامات، ويكونا مهيئيْن للتآلف والتقارب فى النظر إلى الأمور.

obeikandl.com

ب- التقارب فى المستوى الدراسى أو المؤهل العلمى، فلا تكون الفتاة أعلى من الشاب فى المؤهلات الدراسية، ويكون الشاب فى مستوى الفتاة دراسيا أو أعلى منها فلا بأس فى ذلك.

جـ- التشابه فى الخلفية الثقافية بحيث ينتمى كل من الشاب والفتاة إلى ثقافة واحدة، أو جنسية واحدة، ويتشابهان فى العادات والتقاليد والمعتقدات والخبرات، مما يقرب بينهما فى التفكير، والنظر إلى الحياة، والحكم على الأشياء، والتعامل مع الناس، ويجعلهما أقرب إلى التآلف منه إلى الاختلاف فى الحوار والسلوك والاهتمامات.

د- التقارب فى المستوى الاجتماعى والاقتصادى، فلا تكون الفتاة من مستوى اجتماعى واقتصادى أعلى من الشاب، ويكون الشاب فى مستوى الفتاة الاجتماعى والاقتصادى، أو أعلى منها، لأن الزواج يرفع الزوجة إلى مستوى الزوج الاجتماعى والاقتصادى، لكنه لا يرفع الزوج إلى مكانة الزوجة، إذا كانت أعلى منه.

و- وجود عمل للشاب يعول به نفسه وأسرته فى المستقبل، فهو المسئول عن توفير حاجات المعيشة والسكن والملبس، ولا بأس من أن يكون للفتاة عمل ومرتب، تسهم به فى رفع مستوى معيشة الأسرة الجديدة.

٣- التحقق من الرضا المتبادل بين الشاب والفتاة، فيقبل كل منهما الآخر بهيئته وشكله ومظهره وظروفه، ويستقر فى وجدانه الإعجاب به والميل إليه. ويكفى الشعور بالرضا المتبادل بين الطرفين فى هذه المرحلة، فإذا نشأ الرضا والقبول فى مرحلة الاختيار كان دليلا على الميل والإعجاب، الذى ينمو بعد الزواج إلى الحب والمودة والرحمة.

٤- مشاركة الوالدين لابنهما (أو ابنتهما) فى التفكير فى الزواج والبحث عن العروس واتخاذ قرار الاختيار: فهما أصحاب مصلحة فى زواج ابنهما أو ابنتهما، وهذا يجعل الزواج عند المسلمين ليس مسألة شخصية تخص الفتى والفتاة فقط، بل مسألة شخصية ودينية واجتماعية، تخص الفتى أو الفتاة والوالدين والأهل بشكل مباشر، وتؤثر عليهما إيجابا أو سلبا. فالآباء يفرحون بنجاح زواج أبنائهم، ويحزنون لفشل زواجهم، والأمر لا يخص الأبناء وحدهم كما هو الحال فى بعض المجتمعات.

ولا تقف مسئولية الوالدين فى زواج ابنهما (أو ابنتهما) عند المشاركة الوجدانية بالفرح والحزن، بل تمتد فى حالات كثيرة إلى تحمل أعباء الزواج، وبناء الأسرة ودفع المهر وتأثيث البيت، وحفلات الخطبة والزواج وغير ذلك، فأسرة الابن (أو الابنة) امتداد للأسرة الأصلية، فإذا نجح الزواج نعم الأبناء والآباء به، وإذا فشل كان للآباء نصيب فى تحمل تبعياته، بل قد يتحملون أكثر مما يتحمله الأبناء عندما تهدم أسرة الابن أو الابنة، أو عندما يساعدون فى بناء أسرة جديدة له أو لها فى الزواج مرة ثانية، بعد الطلاق أو وفاة الزوج أو الزوجة.

من هنا كان من حق الآباء أن يشاركوا أبناءهم اختيار الزوجة أو الزوج، وكان من واجب الأبناء استشارة الوالدين، وطلب رضاهما ومباركتهما لقرار الاختيار فى الزواج، كى يبارك الله لهم فيمن يختارونه، ويتحقق زواج الفتاة بموافقة ولى أمرها «فلا زواج إلا بولى للفتاة». ويتحقق العرف السائد فى المجتمعات الإسلامية فى الخطبة،

وهو أن يخطب أهل الفتى الفتاة له من أهلها، فلا تقبل كثير من الأسر الجيدة الاتفاق مع الشاب على خطبته لابنتهم إلا بحضور أهله وموافقتهم.

فقرار الاختيار فى الزواج قرار مشترك لا ينفرد به الأبناء، ولا يتسلط فيه الآباء على الأبناء، ويكرهونهم على الزواج، لأن زواج المكره باطل. فقد رد رسول الله ﷺ زواج فتاة زوجها أبوها وهى كارهة فعندما قالت له الفتاة «إن أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع به خسيسته (أى من دون إرادتها) خيَّرها الرسول ﷺ بين رد زواجها والاستمرار فيه. فقالت الفتاة قد أجزت ما صنعه أبى، لكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء» (من حديث رواه الحافظ العراقى).

٥- استشارة أهل التخصص والخبرة: فاتخاذ قرار الاختيار فى الزواج مسئولية الفتى والفتاة ووالديهما، ولا يمنع هذا من استشارة الأصدقاء والزملاء من ذوى الرأى والخبرة، المشهود لهم بالصلاح وسلامة العقل ونضج الشخصية، وكذا استشارة مراكز الإرشاد الزواجى، وطلب النصيحة والإرشاد من المتخصصين فى الإرشاد الزواجى والأسرى.

فعملية الاختيار عملية نفسية، لها المتخصصون فى علومها وفنونها. ومن الخطأ الاعتقاد بأن الإرشاد الزواجى لحل الخلافات وعلاج المشكلات فقط، لأن دوره كبير فى المساعدة فى اتخاذ قرار الاختيار عن طريق التبصير والإقناع، وتحقيق الانسجام بين الجوانب المعرفية والوجدانية والنزوعية والقيمية، والإسهام فى الخروج من الصراعات النفسية التى يسببها التناقض بين العقل والميل، والخروج منها بطريقة منطقية واقعية وسليمة.

ونأمل فى توفير الإرشاد الزواجى للشباب المقبلين على الزواج لمساعدتهم فى عمليات الاختيار، وإعدادهم للحياة الزوجية، وتحمل مسئولياتها، وإمدادهم بالمعلومات الجيدة عن الزواج وأهدافه وشروطه وإجراءاته، وفق العادات والتقاليد والقيم السائدة فى المجتمع، لكى يفهموا الحياة الأسرية فهما صحيحا، ويعرفوا الواجبات والحقوق فى الزواج والوالدية وبر الوالدين، ويقبلوا على الزواج وبناء الأسرة على بصيرة ونفس راضية، فالحاجة للإرشاد الزواجى أصبحت كبيرة فى المجتمعات الحديثة.

٦- **صلاة الاستخارة**: ويقصد بها ركعتان من غير الفريضة، يصليهما الشاب أو الفتاة بنية استخارة الله سبحانه وتعالى فى اختيار الزوج أو الزوجة، لاسيما عندما يحدث الصراع، ولا يستطيع كل منهما أن يقرر: يُقْدم أو يُحْجم، أى يوافق أو يرفض، فيلجأ إلى الله، يطلب منه العون والمساعدة فى الخروج من هذا الصراع، ويسأله أن يشرح صدره فى القبول أو الرفض. فقد قال رسول الله ﷺ: «**من سعادة ابن آدم استخارة الله، ومن سعادته رضاه بما قضى الله. ومن شقوة ابن آدم ترك استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له**» (رواه الترمذى).

ويسن الاستخارة فى الخطبة، فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «**اكتم الخطبة - أى لا تجهر بعزمك ونيتك - ثم توضأ فأحسن وضوءك، ثم صل ما كتب الله لك، ثم احمد ربك ومجده، ثم قل: اللهم إنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، فإن رأيت لى فى فلانة**

يسميها باسمها- خيرا فى دينى ودنياى وآخرتى فاقدرها لى، وإن كان غيرها خيرا لى منها فى دينى ودنياى وآخرتى فاقدرها لى» (فى الجامع الكبير للسيوطى).

وصلاة الاستخارة سنة يصليها المسلم كلما وقع فى حيرة من أمره، ويطلب من الله -الذى بيده الحل والتوفيق- الإرشاد والتوجيه، فيقذف فى عقله ووجدانه ما يجعله يستريح لقرار الموافقة أو الرفض. قال رسول الله ﷺ: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إنى استخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسميه باسمه- خير لى فى دينى ومعاشى، وعاقبة أمرى، فاقدره لى، ويسره لى، ثم بارك لى فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى، وعاقبة أمرى، فاصرفه عنى واصرفنى عنه، واقدر لى الخير حيث كان، ثم ارضنى به**» (رواه البخارى).

٧- الحرص على تحقيق الانسجام بين العقل والميل فى عملية الاختيار، حتى تحدث القناعة، وتقوى الإرادة فى الإقدام والموافقة، أو الإحجام، وعدم الموافقة، فالقرار الصحيح فى الاختيار هو الذى يقوم على العقل والميل معًا، أى يستريح الشاب أو الفتاة لما يعرف عن الآخر، ويطمئن به، ويسكن إليه، ويعجب به، فيستقر العقل والوجدان فى اتخذا قرار الإقدام أو الإحجام.

أما إذا حدث خلاف بين العقل والميل، فلا يندفع الفتى أو الفتاة وراء الميل، لأن الإعجاب وحده ليس كافيًا لاتخاذ القرار، ولابد من تحكيم

العقل فى الميل، ثم الاستجابة لصوت العقل، لأن من دون العقل يكون القرار غير منطقى وغير واقعى وغير صائب، وقد يندم عليه الإنسان طوال حياته.

ومن المعروف أن مَنْ يتخذ قراره بعقله يكون فى الغالب حكيما وصائبا، أما من يتخذ قراره بوجدانه فيكون فى الأغلب مندفعًا لا يرى كل الحقيقة، وكثيراً ما يندم على ما اتخذه من قرارات فى غياب العقل. وصدق الله حيث يقول فى تحكيم العقل فى عملية الاختيار فى الزواج: ﴿ **وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ويجب التركيز فى هذا الجانب على العوامل المهيئة للاختيار الجيد والتى يأت فى مقدمتها عامل الدين عملاً بقول الرسول (ﷺ) «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**» والتزاما بتوجيهاته (ﷺ) للرجال «**لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين. ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل**» (رواه ابن ماجة) وتوجيهاته – ﷺ – لأولياء أمور النساء «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**» (رواه ابن ماجة).

٢- الخِطْبة:

الخطبة هى المرحلة الثانية فى إجراءات الزواج، وهى مرتبطة بالخطوة الأولى، ونتيجة مباشرة لها والخُطْبة بضم الخاء من خَطَب يخطُب على

المنبر خُطْبة بضم الخاء. والخِطْبة بكسر الخاء من خَطَب يَخْطِب المرأة للزواج (مختار الصحاح: ١٨٠).

والمعنى الثانى هو الذى نقصده فى هذا الفصل. فالخطْبة أن يتقدم الشاب مع أهله إلى خطبة الفتاة من أهلها، وتتم الموافقة عليه، وتعلن الخطبة رسميا، ويصبح الشاب خاطبًا، والفتاة مخطوبة، وبينهما وعد بالزواج يباركه الأهل، ويتعهدون بمساعدة الطرفين على تنفيذه. فقوانين الأحوال الشخصية تنص على أن الخطبة وعد بالزواج، وتعطى طرفيها الحق فى العدول عنها متى شاءا. فقرار الخطبة يمكن الرجوع عنه دون إجراءات(٢).

مقدمات الخطبة:

تختلف مقدمات الخطبة عند الفتى عنها عند الفتاة، فعندما يقرر الفتى خطبة فتاة، فما عليه إلا أن يستطلع رأيها، ورأى أهلها فى طلب يدها، إما بزيارة أسرتها أو إرسال رسول إليهم، فإذا حدث القبول من حيث المبدأ، تقدم رسميا مع أهله لخطبتها من أهلها.

أما مقدمات الخطبة عند الفتاة فلها أربع حالات نلخصها فى الآتى:

الحالة الأولى: يتقدم الشاب لخطبة الفتاة، وهى لا تعلم برغبته إلا من أهلها، فتبدأ عملية الاختيار عندها، حيث تفكر فى الزواج، وتجمع المعلومات عن الفتى، وتتخذ قرارها بالاختيار استعدادا للخطبة.

الحالة الثانية: يتقدم الشاب إلى خطبة الفتاة التى يعرفها من الدراسة أو العمل أو الجيران أو الأقارب، وقد يرسل إليها من يخبرها برغبته فى خطبتها، قبل أن يتقدم إلى أهلها، فتفكر فى الزواج، وتجمع المعلومات

عنه، وتتخذ قرارها بالموافقة المبدئية، وتعطيه الضوء الأخضر، ليتقدم مع أهله لطلب يدها من أهلها، دون أن تواعده أو يواعدها فى السر أو فى العلن.

الحالة الثالثة: يتقدم الشاب إلى خطبة الفتاة التى يعرفها من الدراسة أو العمل أو الجيران أو الأقارب، ويلتقى بها مباشرة، ويخطبها من نفسها، ويتبادل معها المعلومات والنظرات والإعجاب، وتبدأ عملية الاختيار (التفكير فى الزواج واتخاذ قرار الخطبة) عندهما معا فى آن واحد، ويتفقان معا من حيث المبدأ على الخطبة، ثم يتقدم الشاب مع أهله لطلب يد الفتاه من أهلها. وقد تمهد الفتاة الطريق له عند أهلها وتعطيهم المعلومات عنه مع موافقتها عليه. وتصبح خطبته لها من أهلها إقرارا بالأمر الواقع، وإعلانا رسميا بالخطبة بين الأهل والجيران والأصدقاء «أن فلانا خطب فلانة».

الحالة الرابعة: يتقدم الشاب إلى خطبة الفتاة التى أحبها وأحبته فترة، قد تكون طويلة أو قصيرة، والتى عرفها وعرفته، والتقيا معًا مرات ومرات، وقد فهمها وفهمته، وألفها وألفته، واتفقا على الزواج عن قناعة وحب. ثم تطلب إليه الفتاة أن يتقدم إلى خطبتها من أهلها، وتصبح الخطبة إقرارا بالأمر الواقع، وإعلانا رسميا بين الأهل والجيران والأصدقاء «بأن فلانا خطب فلانة».

أى هذه الحالات مقبولة وأيها غير مقبولة وفق العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات الإسلامية؟ سألنا هذا السؤال لـ ٢٥٠ طالبة جامعية، فاتفقت الآراء على أن الحالة الأولى حالة تقليدية شائعة فى المجتمعات

الإسلامية، لاسيما فى المناطق الريفية والبدوية، وهى طريقة جيدة فى الخطبة، إذا استطاعت الفتاة التعبير عن رأيها بصراحة، واتخذت قرارها بالاختيار بإرادتها دون ضغوط من أحد.

واتفقت ٨٥٪ من الآراء على أن الحالة الثانية مقبولة ولا شيء فيها، وتتكرر كثيرا فى المجتمعات الحديثة، التى خرجت فيها الفتاة للدراسة والعمل، ولا بأس أن يفصح الشاب للفتاة عن رغبته فى الزواج منها، فيحدثها بنفسه أو بواسطة طرف ثالث، شريطة ألا يواعدها، ولا يلتقى بها سراً، ولا يكرر الاتصال بها، ولا تخصه بعواطفها وحبها قبل الزواج حتى لا تقع فى المحظور من النواحى الشرعية والنفسية والاجتماعية.

وأشارت ٥٨٪ من الآراء إلى أن الحالة الثالثة مقبولة وعادية، لأن حديث الشاب مع الفتاة مباشرة فى أمر الخطبة، وحواره معها، وتبادل النظرات سوف يساعد على أن يفهم كل منهما الآخر، ولا خطأ فى ذلك شريطة ألا يتبادلان الحب والغرام، ولا يغمر كل منهما الآخر بعواطفه، لأن حب الفتى للفتاة أو حب الفتاة للفتى مشاعر إنسانية طيبة لا يمنع الشرع الشعور بها، ولكن يمنع تبادلها والتعبير عنها بين الجنسين قبل الزواج لأن الإسلام حرم الزنى وكل مقدماته أو ما يؤدى إليه.

أما ٤٢٪ من الآراء الأخرى فقد أشارت إلى أن الحالة الثالثة غير مقبولة، وفيها خطأ كبير، لأن حديث الشاب مع الفتاة فى هذه الأمور غلط، وقد يؤدى تبادل النظرات بينهما إلى ما يخالف شرع الله، وقد يسيء إلى سمعة الفتاة، لا سيما إذا رفضه أهلها، أو رفض أهله أن يتقدم لها. ويجب الحذر من كل ما يؤدى إلى تبادل الحب قبل الزواج لأنه حرام وضرره أكثر من نفعه.

وفى الحالة الرابعة أشارت ٩٢٪ من الآراء إلى أنها غير مقبولة لا دينيا ولا عقليا ولا اجتماعيا، لأسباب كثيرة نلخصها فى الآتى:

أ- حب الفتاة لشاب أجنبى عنها حرام من الناحية الشرعية، وغير مقبول من الناحية الاجتماعية، فهذا الحب مرفوض فى عقيدتنا وعاداتنا الاجتماعية.

ب- الحب الذى ينشأ بين الفتى والفتاة فى مقدمات الخطبة مشَبَّع بالرغبات الجنسية، مما يجعله دافعًا لسلوكيات لا يمارسها إلا المتزوجون، من همس ولمس وغمز وضم، وغير ذلك من السلوكيات التى لا يجوز ممارستها فى مقدمات الخطبة، ولا يقبلها أحد من المسلمين لأخته أو ابنته. والشاب الذى يبث الفتاة الأجنبية عنه حبه وغرامه آثم أمام الله وأمام أهله وأهلها، لأنه يعمل معها ما لا يرضاه لأخته. فكيف يمارس هذه السلوكيات باسم الحب وهو عاطفة نبيلة.

جـ- الفتاة التى تبادل الفتى الحب، وتبثه مشاعر العشق والغرام آثمة، مثل الفتى أمام الله وأمام أهلها وأهله، لأنها هى التى أعطته الضوء الأخضر فى الحب، وسمحت له أن يعمل معها ما لا يقبله هو لأخته، ولو صدته من البداية لما تجرأ على التمادى معها، وما زادها هذا إلا عزة وكرامة، أما التى تسلم نفسها للفتى الأجنبى عنها باسم الحب، فتسقط من نظره، ولا تصلح له زوجة بعد ذلك.

وقد أيدت دراسات عديدة أن الحب الذى ينشأ قبل الزواج ليس حبًا حقيقيًا[٣]، لأن فيه اندفاعا، ومشبعا برغبات عديدة قد يكون منها

الرغبة فى الزواج من الفتى أو الفتاة، فمن سؤال ٢٥٠ طالبة جامعية عن الحب قبل الزواج اتفقت ٧٨٪ منهن على أنه لعب وضحك ومرح ووناسة، و٩٢٪ على أنه انجذاب جنسى وجسدى إلى الجنس الآخر، و٥٢٪ على أنه لتحقيق الأمن النفسى وتبادل العواطف.

وأيدت هذه النتائج دراسة على الشباب فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث سئل ٨٩٥ شابا عن الحب قبل الزواج، فأشار ٧٥٪ منهم إلى أنه لعب وضحك وترويح عن النفس، و٦٣٪ إلى أنه قائم على الانجذاب الجسمى والجنسى بين الجنسين، و٥٩٪ إلى أنه نوع من المشاركة فى التفكير والعواطف، و٥١٪ إلى أنه رغبة فى الشعور بالأمن العاطفى بين الجنسين. (Jansonile & Green, 1992: 183).

د- الحب الحقيقى هو الذى يقوم على الثقة المتبادلة، وهذا لا يكون إلا بعد الزواج، أما الحب الذى ينشأ فى مقدمات الخطبة فلا يقوم على الثقة، ولا يحقق الأمن والأمان، لأن كلا من الفتى والفتاة يُسمعُ الآخر كلامًا طيبا، ويبثه الحب والغرام، وهو يعلم أنه فى اللقاءات الغرامية مع الحبيب ليس على طبيعته فى مظهره وهيئته وتصرفاته وتعبيراته، وما يفعله فى هذه اللقاءات ليست سلوكياته الحقيقية، لأنه يظهر نفسه على غير حقيقتها، كى ينال رضا الحبيب، وهو يعلم أيضا أن حبيبه يعمل الشىء نفسه، فكيف ينشأ من هذه السلوكيات غير الطبيعية حب حقيقى، يدوم مع الحياة الزوجية؟

هـ- الحب الذى ينشأ فى مقدمات الخطبة ليس من عوامل النجاح فى الخطبة ولا فى الزواج بعد ذلك، لأسباب نفسية من أهمها أن الفتى

والفتاة اللذين عاشا معًا قصة غرام، وحقق كل منها ما يريده من الآخر، تبرد مشاعر حبه، وينطفئ شوقه، ويدرك برود مشاعر الآخر وانطفاء شوقه، مما يجعل كلا منهما يتهم الآخر «لم تعد تحبنى كما كنت فى الماضى». ويزداد الأمر سوءا بعد عقد الزواج، وامتلاك كل منهما الآخر، فقد أشارت الدراسات إلى فشل معظم حالات الزواج التى قامت على الحب والمعاشرة الجنسية قبل الزواج (Municie, et al, 2000).

و- عندما لا يفى الفتى بوعده، ولا يخطب الفتاة التى تبادله الحب، إما بسبب عدم موافقة أهله أو أهلها، أو بسبب تغير مشاعره نحوها أو حبه فتاة أخرى، أو عدم جديته فى الزواج، فإن الفتاة سوف تخسر سمعتها وكرامتها، وتضطرب مشاعرها. وقد تعانى أعراض ما بعد الصدمة (PTSD) الناتجة عن الفشل فى الحب والحرمان من الحبيب، فيضطرب نومها، وتعتل صحتها، وتعانى الاكتئاب ومشاعر الذنب، وتهتز ثقتها بنفسها وبالناس وبالحياة، وقد تقدم على الانتحار أو تعانى الاضطراب النفسى أو العقلى.

وقد يعانى الفتى أعراض ما بعد صدمة الحب، إذا لم تتم الخطبة لأى سبب من الأسباب السابقة، أو لأسباب أخرى ترجع إلى الفتاة، التى تحولت عنه إلى حب غيره. وتاريخ الطب النفسى وعلم الأمراض النفسية ملىء بحالات مرضية بسبب الفشل فى الحب قبل الخطبة أو بعدها. أو بسبب مشاعر الذنب الناتجة عن الممارسات الجنسية الخاطئة قبل الزواج.

أهداف الخطبة:

تبدأ الخطبة من الموافقة على الخاطب، وتنتهى إما بالعدول عن الخطبة أو بعقد الزواج أو عقد النكاح أو المِلْكَة. وتهدف هذه المرحلة إلى تحقيق خمسة أهداف رئيسة هى:

١- زيادة التعارف بين الفتى والفتاة وأسرتيهما.

٢- تنمية الرضا والقبول والإعجاب المتبادل بين الخاطبين.

٣- الإعلان الرسمى عن الخطبة بين الأهل والأصدقاء والجيران.

٤- التأكد من كفاءة كل من الفتى والفتاة للزواج.

٥- الاتفاق على المهر وإجراءات الزواج ومطالبه.

اتخاذ قرار عقد الزواج:

بعد اتخاذ الفتى قراره فى اختيار الفتاة واتخاذ الفتاة قرارها بالموافقة عليه، ومباركة الأهل لهذين القرارين، تبدأ مرحلة الخطبة، التى إذا تحققت أهدافها السابقة، يصبح كل من الخاطبين مهيأ لاتخاذ قرار عقد الزواج، وهو قرار مكمل لقرار الاختيار، وله الجوانب نفسها التى يتكون منها قرار الاختيار وهى: المعرفى والوجدانى والنزوعى والقيمى، ونوضحها فى الآتى:

١- الجانب المعرفى: يستكمل كل من الخاطبين معلوماته عن الآخر فى مرحلة الخطبة ويعمق معرفته به، ويستوثق منها، ويفهم ظروفه، ويقتنع عقليا ومنطقيا باستكمال مشوار الزواج منه، فى ضوء معرفته به ولظروفه وإمكاناته، التى وقف عليها فى مرحلة الخطبة.

٢- الجانب الوجدانى: تزداد فرص لقاء الخاطبين معًا -فى بيت المخطوبة وبحضور أهلها عادة- ويحدث التفاعل الاجتماعى بينهما من خلال التواصل بالكلمات والنظرات والتعبيرات، التى تدعم مشاعر الرضا والإعجاب بينهما. وقد صدق رسول الله ﷺ عندما أمر بالنظر إلى المخطوبة فقال: «**إذا خطب أحدكم امرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**» (رواه النسائى) وقال أيضا لرجل خطب امرأة من الأنصار: «**اذهب فانظر إليها، فإن فى أعين الأنصار شيئا**» (رواه مسلم) وفى رواية النسائى قال عليه السلام له: «**أنظرت إليها؟**» قال الرجل: لا. قال ﷺ: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**» أى أجدر أن يدوم الوفاق أو الإعجاب بينكما.

جـ- الجانب النزوعى أو السلوكى: وتضم ردود الأفعال والتصرفات، التى تصدر من كل من الخاطبين نحو الآخر، وفق ما يعرفه عنه، وما يشعر به نحوه، ويعبر عنها بعبارات القبول والرضا والإعجاب، التى يتولد عنها الإرادة بقرار الموافقة على الزواج، أو بعبارات الرفض وعدم الرضا وعدم الثقة، التى يتولد عنها الإرادة بقرار العدول عن الخطبة.

د- الجانب القيمى: ويضم الأخلاق والدين والقيم والضمير أو الوازع الدينى، الذى يحكم الجوانب الثلاثة السابقة، ويوجهها فى مواقف الخطبة. فإذا كان الوازع الدينى قويا التزم كل منهما بشرع الله فى الخطبة، واحترم إرادة الآخر ومشاعره، وحفظ أسراره، وستر عيوبه، وامتنع عن التجسس عليه، وكان موضوعيا فى شروطه، وأمينا فى التعامل معه فى الاتفاق أو الاختلاف.

أما إذا كان الوازع الدينى ضعيفا، فإنه قد يغش ويكذب ويتجسس، ويخلف الوعد، ولا يحافظ على حرمات البيوت، وقد صدق رسول الله ﷺ عندما جعل قوة الوازع الدينى معيارا أساسيا للخطبة والزواج، فقال ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع لجمالها ومالها وحسبها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**» (رواه البخارى). وقال أيضا: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، وإلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض**» (رواه الترمذى). وكذلك عندما أمر ﷺ بالصدق والأمانة فى الخطبة فقال: «**إذا خطب أحدكم وكان يخضب السواد فليعلمها أنه يخضب**» (رواه الديلمى).

الأسس النفسية لقرار عقد الزواج:

قرار عقد الزواج لا يقل أهمية عن قرار الاختيار، إن لم يكن أكثر منه أهمية، لأن قرار الاختيار لا يترتب عليه الارتباط، فالخطبة وعد بالزواج، لا يحل لأى من الخاطبين شيئا من الآخر، أما قرار عقد الزواج فسوف يترتب عليه الارتباط بينهما، ويصبح كل منهما زوجًا للآخر، لذا يجب اتخاذه بإرادة واعية وقناعة قوية، وهذا يتطلب الآتى:

أ- معرفة كل من الخاطبين بالآخر وفهمه لظروفه الاجتماعية والنفسية والثقافية والدينية والاقتصادية فهما جيدا. فمرحلة الخطبة مرحلة للدراسة والبحث والتقصى عن الخاطب والمخطوبة (جانب معرفى).

ب- ارتياح كل منهما بوجوده مع الآخر وقناعته به وقبوله لشكله وهيئته وسلوكياته وعاداته (ميل أو الجانب الوجدانى).

جـ- وجود رغبة أكيدة عند كل منهما فى الزواج، عندما يتفق ما يعرفه كل منهما عن الآخر مع ما يشعر به نحوه، فيتفق العقل مع الميل فى اتخاذ القرار، وتنشأ الإرادة القوية فى الزواج.

د- إذا حدث تباين بين العقل والميل فى مرحلة الخطبة، وشعر أحد الطرفين بالصراع بين قبول الطرف الآخر أو رفضه، فمن الضرورى عدم الضغط عليه، ومساعدته على حل هذا الصراع، حتى يقتنع بالزواج منه أو يعدل عن الخطبة بإرادته.

هـ- إذا حدث تباين بين العقل والميل عند الخاطبين، وشعر كل منهما بالصراع فى داخله بين قبول ورفض الزواج من الآخر، فمن الضرورى تقديم الاستشارة لهما من الأهل ومن ذوى الخبرة والاختصاص فى الإرشاد الزواجى، وتشجيعهما على التروى وصلاة الاستخارة حتى ينشرح صدريهما إلى اتخاذ قرار الزواج أو العدول عن الخطبة، بعد تحكيم العقل فى الميل وحل الصراع.

و- ويكون العدول عن الخطبة وسيلة فعالة فى الأحوال الآتية:

١- إذا لم يقتنع الخاطبان ببعضهما، واختلفا حول الزواج، وتعذر حل هذه الخلافات.

٢- إذا لم يقتنع أحد الخاطبين بالآخر، وتعذر إقناعه بالزواج منه.

٣- إذا اتفق الخاطبان بإرادتها على العدول عن الخطبة.

ز- وفى كل الأحوال يجب تحكيم العقل فى الميل فى اتخاذ قرار عقد الزواج، أو قرار العدول عن الخطبة، كى لا تكون القرارات انفعالية، فيها

اندفاعية وعواطف، لأن أيا من القرارين له تأثير كبير على الخاطبين وأهليهما، واتخاذه بعقلانية ومنطقية وواقعية سوف يكون فيه مصلحة للطرفين.

ح- يجب على الأهل المساعدة وتقديم المشورة للخاطبين والنصح لهما، من دون إكراه أو ضغط، أو انحياز، ومن الضرورى أن يكثروا من الدعاء إلى الله أن يجمع بينهما فى الخير أو يصرفهما عن الخطبة إذا كان فى زواجهما شر، وأن يقدر لكل منهما الخير أينما كان، فكل شىء من الله سبحانه وتعالى.

ويجب احترام إرادة الخاطبين بالعدول عن الخطبة إذا لم تتوافر القناعة عندهما أو عند أحدهما، لأن قرار العدول صعب، لكنه أفضل من الانتقال إلى عقد الزواج من دون قناعة، لأن الفشل والطلاق متوقعان بدرجة كبيرة، إذا لم يقتنع أحد الخاطبين بالزوج الآخر.

لذا حرص الإسلام على أن يكون الاختيار فى الزواج، وأن يكون المضى فى إنجاز عقد الزواج أو العدول عن الخطبة بإرادة الرجل والمرأة وليس بإرادة أهلهما، فقد أكد الرسول ﷺ فى أحاديث كثيرة حق المرأة فى اختيار زوجها فقال «**لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن**» قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال: «**أن تسكت**» (رواه أحمد والستة) وقال ﷺ: «**الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتها**». أى سكوتها (رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة). وسألت عائشة رضى الله عنها النبى عن استئذان البكر فقالت: «إن البكر تستأذن فتستحى فتسكت» فقال ﷺ: «**سكاتها**

إذنها» (متفق عليه) بل إن رسول الله ﷺ أبطل زواج امرأة زوجها أبوها وهى ثيب، فكرهت ذلك، فأتت النبى ﷺ فرد نكاحها أى أبطله» (رواه البخارى). وجاءت فتاة إلى النبى ﷺ فقالت: «إن أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع به خسيسته. فجعل النبى الأمر إليها – أى بإرادتها أن تستمر فى الزواج أو يطلقها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبى، ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس للآباء من شىء». أى ليس لهم إكراه فتياتهم على الزواج بمن لا يرضينه (رواه أحمد والنسائى).

الهوامش:

(١) تناولنا المشكلات التى تنتج عن الاختلاط والحب والمعاشرة الجنسية من دون زواج من الفصل التاسع من الباب الثالث فى هذا الكتاب.

(٢) الخطبة ليست بعقد ملزم لأى من الخاطبين، فقد نص قانون الأحوال الشخصية الكويتى «الخطبة لا تلزم بالزواج، ومثلها الوعد به وقبض المهر وتبادل الهدايا». لكن من الناحية الأخلاقية لا ينبغى للإنسان أن ينقض وعده، ويرجع عن عزمه فى الزواج ممن خطبها، إلا إذا كانت ثمة ضرورة ملحة تبرر نقض الوعد.

وقد جاء فى قانون الأحوال الشخصية إذا عدل أحد الطرفين عن الخطبة وليس ثمة شرط أو عرف: (أ) فإن كان عدوله بغير مقتض لم يسترد شيئا مما أهداه للآخر (ب) وإن كان العدول بمقتض استرد ما أهداه إن كان قائما، أو قيمته يوم القبض إن كان هالكا أو مستهلكا.

(٣) يرى كثير من الباحثين أن الحب بين الرجل والمرأة قبل الزواج يشوبه القلق وعدم الصدق، وفيه ظلم للمرأة، التى تحب من أجل الأمان النفسى، ولا تتساوى فى ذلك مع الرجل الذى يجعل المرأة موضوع حبه، ورغبته الجنسية.